الكيا الهراس

للأستاذ برهان الدين محمد الداغستاني

٤٥٠ — ٥٠٤ هـ

اسمه ونسبته :

هو عماد الدين شمس الإسلام أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا الهراس ، والكيا بهمزة مكسورة بعدها لام ساكنة ثم كاف مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت كلمة أعجمية معناها : الكبير القدر المقدم بين الناس[1] . والهراس بتشديد الراء لا تعلم نسبته لأي شيء[2] .

مولده ونشأته الأولى في طبرستان :

ولد الكيا في طبرستان خامس ذي القعدة سنة خمس وأربعمائة من الهجرة ونشأ فيها نشأته الأولى حتى بلغ الثامنة عشرة . ويقول مترجموه إنه تفقه في بلده قبل الخروج إلى نيسابور . وليس فيما لدينا من المراجع ما يكشف عن حاله في بلدته مدة ثماني عشرة سنة التي قضاها فيها سوى هذه النبذة القصيرة ولا تذكر شيئاً بعد ذلك عن أبيه وعائلته وبيئته كما أنها لا تذكر شيئاً عن شيخه أو شيوخه الذين تفقه عليهم ، وعلى كل حال فدراسته الفقهية التي تلقاها في بلدته قد أعدته وهيأته لتلقي دروس شيخ الشافعية في عصره إمام الحرمين الجويني في نيسابور والاستفادة منها بل جعلته في مقدمة تلامذته ومريدي درسه . ونستطيع أن نفهم من هذا أن دراسته الأولى كانت في مستوى علمي متوسط — على الأقل — إن لم نقل في مستوى عال وإلا لما تهيأ له أن يستفيد من دروس إمام الحرمين من يوم وصوله إلى نيسابور .

في نيسابور :

لا بد أن الكيا — وهو يطلب العلم في بلده — بلغته شهرة إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني رئيس الشافعية في عصره ، وتطلعت نفسه المتعطشة إلى العلم إلى لقيا هذا الإمام الجليل والأخذ عنه فارتحل وهو في الثامنة عشرة إلى نيسابور .

يقول ابن عساكر في تبيين كذب المفتري[1] : « ورد نيسابور في شبابه وكان قد تفقه فحصل طريقة إمام الحرمين وتخرج به فيها وصار من وجوه الأصحاب ورؤوس المبدين في الدرس ، وكان يعيد الدرس على جماعة حتى تخرجوا به ، وكان مواظباً على الإفادة والاستفادة . ونقل السبكي في طبقات الشافعية الكبرى[2] عن الكيا نفسه قوله : كانت في مدرسة سرهنك[3] بنيسابور قناة لها سبعون درجة وكنت إذا حفظت الدرس أنزل القناة وأعيد الدرس في كل درجة في الصعود والنزول وقال : وكذا كنت أفعل في كل درس حفظته ثم يقول السبكي : وفي بعض الكتب أنه كان يكرر الدرس على كل مرقاة من مراقي درجة المدرسة النظامية بنيسابور سبع مرات وأن المراقي كانت سبعين مرقاة .

وهذا الذي نقلناه يدلنا على أن الكيا في نيسابور كان طالباً مجداً بكل ما تحتمله كلمة مجد من معنى ، وأنه ظل على جده واجتهاده في طلب العلم حتى أصبح من كبار تلامذة إمام الحرمين وحتى إنه كان يقوم بإعادة دروس شيخه على كثير من زملائه الطلبة حتى

---

(١) هذا تفسير ابن خلكان في وفيات الأعيان (١ : ٤٦٥) وأما غيره ممن تعرض لشرح هذه الكلمة فقد اقتصر على أن معناها : الكبير في لغة الفرس ويقول ابن خلكان : ولا أعلم لأي شيء قيل له : الكيا .

(٢) طبقات الشافعية لابن شهبة ورقة ٣٠ مخطوط وشذرات الذهب لابن العماد (٤ : ٨) طبع القدسي — القاهرة .

(١) ص ٢٨٨ طبع المعهد الدمشقي وهذه النبذة عن الكيا نقلها ابن عساكر في تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الإشعري عن الشيخ أبي الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي مؤلف تاريخ نيسابور كما نقلها عنه أيضاً ابن خلكان في الوفيات والسبكي في طبقات الشافعية .

(٢) ٣ : ٤٨١ طبع القاهرة .

(٣) مدرسة سرهنك هذه هي النظامية التي بناها نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الوزير الفارسي الكبير المولود سنة ثمان وأربعمائة والمقتول في عاشر رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة . بقي نظام الملك وزيراً ثلاثين سنة وزر لألب ارسلان السلجوقي حتى قتل سنة ٤٦٥ ؛ ثم لابنه ملكشاه إلى أن قتل هو في عاشر رمضان سنة ٤٨٥ ؛ واشتهر نظام الملك بأنه أول من بنى المدارس في الإسلام فقد بنى النظامية في نيسابور لإمام الحرمين ثم نظامية بغداد سنة سبع وخمسين وأربعمائة وتمت في ذي القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة تولى بناءها أبو سعيد الصوفي وبلغت نفقاتها ستين ألفاً من الدنانير . تولى التدريس فيها الشيخ أبو نصر بن الصباغ الشافعي المتوفى سنة ٤٧٧ ثم الشيخ أبو إسحق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ ؛ ثم الشيخ =

تخرجوا عليه ، وعلى هذا النحو بقي في نيسابور إلى أن توفي شيخه الجويني سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فارتحل عنها إلى بيهق .

في بيهق :

خرج الكيا من نيسابور إلى بيهق وقد استكمل علماً فقد علمنا أنه كان من كبار تلامذة إمام الحرمين وأنه حصل طريقته في إلقائه الدروس والبحث العلمي؛ ونرى أن الوقت كان ملائماً كل الملاءمة لهذا الطارق على بيهق ليظهر علمه وينبوغه . ولا شك أنه فعل ذلك حتى عظم قدره عند ولاة الأمور هناك . ولكن المصادر التي بأيدينا لا تتكلم عن هذه الفترة من حياته من سنة ٤٧٨ التي مات فيها إمام الحرمين إلى ٤٩٢ التي دخل فيها بغداد إلا قليلا ، فابن خلكان يقول : ثم خرج من نيسابور إلى بيهق ودرس بها مدة ثم خرج إلى العراق . وأكثرها يهمل هذه المدة الطويلة من حياته فلا يذكرها بخير أو بشر ، إلا أن ابن خلكان كشف عن هذا الغموض قليلا حين نقل عن عبد الغافر الفارسي صاحب تاريخ نيسابور قوله : « ثم اتصل بخدمة مجد الملك بركيارق[1] ابن ملكشاه السلجوقي وحظي عنده بالمال والجاه وارتفع شأنه وتولى القضاء بتلك الدولة » .

وفي حوادث سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة من الكامل لابن الأثير[2] ما يأتي : في هذه السنة في شعبان وصل إلى الكيا أبو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالهراس الفقيه الشافعي ولقبه عماد الدين شمس الإسلام ، برسالة من السلطان بركيارق إلى الخليفة الخ[3].

ومن هذا نرى أن الكيا قد عظم شأنه وأنه بعد أن درس مدة في بيهق اختير قاضياً في سلطنة بركيارق السلجوقي وعظمت صلته بالسلطان وثقة السلطان به حتى اختاره للسفارة بينه وبين الخليفة في بغداد .

في بغداد :

قلنا إن الكيا وصل بغداد في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة يحمل رسالة إلى الخليفة . ويقول ابن الأثير : واعتنى بأمره مجد الملك البلاساني وقام له الوزير عميد الدولة ابن جهير لما دخل عليه[1] ثم لا نعلم شيئاً عن حياته في بغداد إلى ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة لما ولي التدريس بالمدرسة النظامية في بغداد يقول ابن شهبة في طبقات الشافعية : وتولى النظامية في ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة واستمر بها عظيم الجاه رفيع المحل يتخرج عليه الطلبة إلى أن توفي في المحرم سنة أربع وخمسمائة .

شيوخه وتلاميذه :

لا نعلم شيئاً عن شيوخ الكيا الهراس إلا أنه تفقه في نيسابور على إمام الحرمين وأخذ عنه طريقته في الفقه والأصول والخلاف وأنه لازمه حتى مات ، ويذكر السبكي في الطبقات أن الكيا حدث عن إمام الحرمين وأبي علي الحسن بن محمد الصفار وغيرهما ولكنه لم يذكر غيرهما من شيوخه كما أن كل من رجمت إليهم من المؤرخين لم يذكروا من شيوخه إلا إمام الحرمين وأبا علي الحسن بن محمد الصفار ، وعلى الرغم من أنه تولى التدريس زمناً طويلا في بيهق كما تقدم لا تذكر كتب التراجم أحداً ممن تلقى العلم عنه في بيهق وإنما تقتصر على بعض من تلقى عنه في نظامية بغداد مثل الحافظ الكبير السلفي ، والمحدث الرحالة سعد الخير بن محمد الأنصاري الأندلسي البلنسي ، وأبي إسحق إبراهيم بن عثمان الغزي الشاعر المشهور .

ومهما يكن من شيء فإن الكيا الهراس — وقد قضى أكثر عمره في الاستفادة والإفادة — لا شك أنه خدم العلوم الإسلامية وخاصة الفقه والأصول خدمة جليلة حتى دعي شيخ الشافعية في بغداد وتطلعت إليه العيون من كل صوب ولا شك أن الكثير

= أبو محمد عبد الرحمن بن المأمون المتوفى سنة ٤٢٨ وأبو القاسم الدبوسي والغزالي وأبو بكر الشاشي والكيا الهراس هذا وغيرهم من جلة العلماء في كل عصر ومدارس أخرى في اصبهان وهرات وكلها تدعى النظامية ، على أن بناء المدارس كان معروفاً في الاسلام قبل نظام الملك فقد كانت في نيسابور مدرسة ابن فورك المتوفى سنة ٤٠٦ والمدرسة البيهقية نسبة إلى البيهقي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ .

(١) بركيارق بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي مولده سنة أربع وسبعين وأربعمائة وتوفي سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وأقام في السلطنة اثنتي عشرة سنة واثنهراً .

(٢) ج ١٠ : ١٨

(٣) كان الخليفة في هذه المدة هو المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله المتوفى سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة من الهجرة .

٣٥ ٢٨

(١) كان ابن جهير هذا عظيم الكبر يمد كلامه عداً وكان إذا كلم إنساناً كلمات يسيرة حتى ذلك الرجل فلا عجب إذا اعتنى ابن الأثير وذكر قيامه للكيا لما دخل عليه .

من فقهاء الشافعية فى أواخر القرن الخامس وأوائل السادس تخرج عليه واستفاد منه وخصوصاً أيام توليه التدريس فى نظامية بغداد من ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة إلى وفاته سنة أربع وخمسمائة من الهجرة .

الثناء عليه :

يقول الشيخ محمد الأنصارى الهنسى فى الكافى[1] : أنه تفقه ببلده وقصد إمام الحرمين بنيسابور فلازمه حتى برع فى الفقه والأصول وكان هو والغزالى والخوافى[2] أكبر تلامذته ومعيدى درسه . وكان إماماً نظاراً ، قوى البحث ، دقيق الفكر ذكياً فصيحاً جهورى الصوت . وقال أبو طاهر السلفى : سمعت الفقهاء ببغداد يقولون : كان أبو المعالى الجوينى يقول فى تلامذته إذا ناظروا : التحقيق للخوافى ، والجريان للغزالى ، والبيان لإلكيا .

وصفه السبكى فى الطبقات : بأنه أحد فحول العلماء ورؤوس الأئمة فقهاً وأصولا وجدلا وحفظاً لمتون أحاديث الأحكام . وكان ثانى الغزالى بل أملح وأطيب فى النظر والصوت ، وأبين فى العبارة والتقرير منه ؛ وإن كان الغزالى أحد وأصوب خاطراً وأسرع بياناً وعبارة منه . وكان يحفظ الحديث ويناظر فيه وهو القائل : إذا جالت فرسان الأحاديث فى ميادين الكفاح ، طارت رؤوس المقاييس فى مهاب الرياح .

وقال فيه ابن شهبة فى طبقات الشافعية : إنه كان إماماً نظاراً قوى البحث دقيق الفكر ذكيا فصيحاً جهورى الصوت حسن الوجه جداً ، قدم بغداد وتولى النظامية فى ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة واستمر مدرساً بها عظيم الجاه وفيح المحل يتخرج عليه الطلبة إلى أن توفى . وقال ابن خلكان : وكان حسن الوجه جهورى الصوت فصيح العبارة حلو الكلام . ويقول ابن عساكر فى تبيين كذب المفترى : كتب إلى الشيخ أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل قال : إنه ورد نيسابور فى شبابه وقد تفقه وكان حسن الوجه مطابق الصوت للنظار ، مليح الكلام ، فحصل طريقة إمام الحرمين وتخرج به فيها وصار من وجوه الأصحاب ورؤس المعيدين فى الدرس ، وكان ثانى الغزالى بل أملح وأطيب فى النظر والصوت وأبين فى العبارة والتقرير منه ، وهذا كان يعيد الدرس على جماعة حتى يخرجوا به وكان مواظباً على الإفادة والاستفادة[1] .

(له بقية) برهان الدين محمد الراغستانى

(١) يلاحظ القارئ للبذ التى نقلناها من كتب التراجم فى الثناء على الكيا الهراس تشابهاً كبيراً بينها مما يجعله يجزم باتحاد مصدرها ثم تصرف فيه كل كاتب منهم بعض الشيء فى الأصل الذى وصله ، والذى ظهر لنا أن المصدر الأصلى لأخبار الكيا الهراس هو الشيخ عبد الغافر أبو الحسن بن اسماعيل مؤلف تاريخ نيسابور الذى كان موجوداً فى أواخر القرن الخامس وأول السادس وهي المدة التى كان فيها الكيا موجوداً وعن عبد الغافر نقل ابن عساكر وابن خلكان والسبكى وغيرهم ممن أتى بعدهم

(١) الكافى فى معرفة علماء المذهب الشافعى ورقة (٦٦) مخطوط

(٢) هو أحمد بن محمد بن المظفر الخوافى الامام المشهور أظفر أهل عصره وأعرفهم بطريق الجدل فى الفقه عرف بالعبارة الرشيقة المهذبة والتضييق فى المناظرة على الخصم والارهاق إلى الانقطاع توفى سنة ٥٠٠ من الهجرة وخواف قرية من أعمال نيسابور .

إعلان

تعلن وزارة المعارف عن مسابقة لتأليف نشيد خاص بالجامعة العربية ولتلحين النشيد الذى يقع عليه الاختيار . بمكافأة قدرها مائة جنيه للتأليف ومائة جنيه للتلحين بالشروط الآتية : —

١ — أن يكون النشيد باللغة العربية الفصحى .

٢ — أن يكون بلغة سهلة يفهمها الجمهور .

٣ — أن يكون وزنه وأسلوبه مما يحسن توقيعه وتلحينه .

٤ — أن يكون حجمه مناسبا لا مفرطا فى الطول ولا فى الحجم .

٥ — أن يكون باعثا على تقوية الشعور بالعزة والوحدة القومية .

٦ — يحق لكل عربى أن يشترك فى المسابقة أيا كان قطره .

وآخر موعد للتقديم قبل أول يوليو (تموز) سنة ١٩٤٧ إلى الأمانة العامة للجامعة العربية ٧١٣١